مفهوم الجملة في النّحو واللّسانيات وأهميتها في الدّراسات الأسلوبية دراسة وصفية

Sentence definition in grammar and linguistics and its importance in stylistic studies - A descriptive study-

الدكتور إبراهيم فضالة
أستاذ محاضر - - قسم اللّغة العربية
جامعة البليدة - علي لونيسي

ملخص الدراسة

الْجُمْلَةُ مُنطَلَق كُلِّ دِرَاسَةٍ لِسانيَّةٍ، وَهِيَ بِدَايَةُ كُلِّ وَصْفٍ لِسانٍ . فَالْجُمْلَةُ هِيَ وحْدَةُ التَّفَاهُمِ والتَّخَاطُبِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ والْمُتَلَقِّي كَمَا أَنَّهَا الْوحْدَةُ الدَّلَالِيَّةُ الرَّئِيسَةُ فِي عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ اللُّغَوِي، وَبِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْأَهَمِيَّةِ تَسْعَى هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى إِبْرَازِ الْجُهُودِ الَّتِي بَذَلَهَا النُّحَاةُ فِي تَحْدِيدِ مَفْهُومِ الْجُمْلَةِ، مَعَ إِشَارَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى التَّكَامُلِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ فِي إِيضَاحِ وَظِيفَةِ الْجُمْلَةِ الدَّلَالِيَّ . وَقَدِ اقْتَضَتِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تُقَدِّمَ نَظْرَةً مُوجَزَةً حَوْلَ تَعْرِيفِ الْجُمْلَةِ فِي النَّحْوِ فِي اللغة الْفِرَنْسِي . وَارْتَأَتِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تَتَطَرقَ إِلَى الدَّوْرِ الْفَعَّالِ لِلِّسَانِيَاتِ الْحَدِيثَةِ فِي الارْتِقَاءِ بِمَوْضُوعِ التَّرْكِيبِ، فِي فَاعِلِيَّةِ اللُّغَ . وَخُتِمَ الْمَوْضُوعُ بِذِكْرِ فَضْلِ نَحْوِ الْجُمْلَةِ وَاللِّسَانِيَّاتِ فِي الدِّرَاسَاتِ الْأُسْلُوبِيَّ .

الكلمات المفاتيح

الدِرَاسَةِ اِللسانيَّةٍ، وحْدَةُ التَّفَاهُمِ والتَّخَاطُبِ، الْمُتَكَلِّمِ والْمُتَلَقِّي، تَحْدِيدِ مَفْهُومِ الْجُمْلَةِ، النَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ، اِللِّسَانِيَاتِ الْحَدِيثَةِ، الدِّرَاسَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ .

Abstract :

Sentence is beginning for each linguistic study, which is the beginning of each description of the tongue. It is the unity of understanding and communication between the speaker and the receiver as the Unity significance key in the process of linguistic communication, and based on this importance of this study sought to highlight the efforts made by grammarians in defining the concept of the sentence, with a quick reference to the integration of grammar, rhetoric in Note Significance and function sentence. The study was required to provide a brief overview of the syntax definition as in the French language. The study found that the address to the active role of modern linguistics in raising the issue of installation, the effectiveness of the language. He concluded by mentioning the topic preferred towards sentence and linguistics in stylistic studies.

Key Words:

Linguistic Study, Unit of Understanding ,Speaker and receiver Define the concept of sentence ,Grammar,Rhetoric, Modern Linguistics , Stylistic studies

إنّ مزية المفردات تكمن في قدرتها على حمل المضمون المعجمي الذي يختاره المخاطِب وهو ينشئ الخطاب غير أنها تبقى عاجزة في إيصال هذه الدلالات إلى المتلقي ما لم تنتظم بتجاورها أفقيا حسب ما يقتضيه النحو أي أن أية كلمة تكون لها علاقة بما قبلها وبما بعدها وبهذا التجاور بين الكلمات ينشأ ما يسمى بالتركيب .

وهكذا عملية التركيب في المنظور الأسلوبي تقـــوم على ظاهرة إبداعية سابقة عليها وهي ظاهرة " الاختيا " التي لا تكون ذات جدوى إلا إذا أحكم تركيب الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي ".[1] والتركيب بهذا المفهوم يحقق الغاية الأساسية من اللغة وهي التبليغ، لكن الأديب لا يكتفي بهذه الوظيفة، وإنما يتطلع إلى تحقيق مجموعة من الوظائف – إضافة إلى الإخبا – والتي تتمثل في الأساس في الوظيفتين التعبيرية والجمالية اللتين تمتزجان مع الإبلاغ، فالإنسان يستخدم اللغة للتعبير عن مشاعره دون أن يكون اهتمامه بردود الأفعال التي من المحتمل أن يبديها الغير، وقد يقـــصد المتكلم إلى التأثير في المخاطب وهي الوظيفة البلاغية أو الجمالية كما تسمى في اللسانيات الحديثة والأسلوبية خصوص .

ويقول ' ساندريس " في هذا المعنى :" فكما تجيز المفردات ضمن حدود معينة الخيار للإشارة إلى مضمون حقيقي ، ثمة إمكانات تركيبية كثيرة لصياغة بنية عميقة تعبر عن موضو " [2] تشير هذه الفقرة إلى إمكانية التعبير بتراكيب مختلفة عن فكرة واحدة، وتدل في الوقت نفسه أن التعدد في التراكيب يعني التنوع في الأسلوب، وبذلك يتمكن الأديب أن يضمّن كلامه القيمة التي يريد إعطاءها لخطابه، وقد أورد عقب الفقرة السالفة الذكر أمثلة مختلفة للتعبير عن الرغبة في الهدوء بدءا بالجمل القصيرة الندائية وامتدادا إلى الجمل الطويلة :

- أغلق الف .
- ولا كلمة، ولا حرف .
- من فضلك أغلق فمك .
- أيمكن أن تهدأ أخيرا !
- هل يضرك أن تنهوا كلامكم؟
- يرجى الهدو .
- ما هذا الصخب !
- قليل من الهدوء لن يض .
- سأكون لك شاكرا إن فعلت معروفا وتحدثت على نحو أهد .

وهكذا أن الذي يميز الأسلوب الأدبي عن الكلام العادي هو كيفية تنظيم وحداته اللغوية وهو موكول إلى علم التركيب الذي يختلف كليا عن النحو بالمفهوم العربي الكلاسيكي، إذ هو لا يعتني إلا بالوظيفة الإعرابية للمفردات والجمل، ولا يهتم بالدور الترتيبي الذي يلعبه مكانه في سلسلة الكلام ومدى تأثيره في تحديد الدلالة [1] . وبناء على ذلك نستشف الاختلاف بين النظرية النحوية العربية القديمة والنظرية الحديثة حول مفهوم التركيب، وهذا ما سنحاول أن نبينه من خلال آراء النحاة القدامى في موضوع التركيب الجمل) ومجمل الأقوال في النظرية الحديثة لنحو الجملة في الخطاب .

التركيب في النحو والبلاغة العربية

ثنائية الكلام والجملة

استعمل النحاة العرب مصطلح الكلام قبل أن يستعملوا مصطلح الجملة واعتمدوا ما كان من قبيل الكلام مقابل ما كان من قبيل القـــول[1] . لقد أثارت هذه الثنائية - الكلام والجملة - نقاشا واسعا بين النحاة العرب خاضوا فيها خوضا حتى غدت عندهم بابا تقليديا في كتب النحو، وكونوا حوله مجموعات من التفسيرات، وتركوا لنا في هذا الموضوع تراثا ضخما، قلّ ما نعثر على كتاب نحوي يخلو من الحديث عنه، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر ما جاء في كتاب رسالة المباحث المرضية : « ولكن كثيرين من النحاة لا يرون هذا الرأي بل يفـــرقون بين الكلام والجملة وهو ما تتم به الفائدة .. وأما الجملة عند جمهور النحاة فتعبير صناعي أو مصطلح نحوي لعلاقة إسنادية بين اسمين أو اسم وفعل تمت الفائدة بها أم لم تتم ولذلك فهي أعم من الكلام »[2] يبدو صاحب هذا الرأي أنه حسم الموقف بأن هناك اتفاق بين النحاة على التمييز بين الكلام والجملة، بحيث الكلام هو المفيد بالقـــصد والمراد بالمفيد هو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره أي العلاقة الإسنادية وقد استدل على ذلك بقول الزبيدي في " تاج العروس : الجملة مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى .. ومثّل لذلك بالجملة الواقعة خبرا أو وصفا أو حالا أو شرطا أو صلة أو نحو ذلك هي جملة وليست بكلام لأن إسنادها ليس مقصودا لذاته »[3] . وذهب في هذا الاتجاه ابن هشام في " مغني اللبيب " حينما حاول تحديد عدد الجمل الاعتراضية في الآية الكريمة : .. **وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُـــرَى أَنْ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُون** سورة الأعراف 96، 97 ثم يقول : وردّ عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان[4] . ويفهم من هذا القول أن الاختلاف بين المصطلحين الكلام والجملة حقيقة بين النحويين، ولعل ما جاء في كتاب " مسائل خلافية في النحو " يصب في هذا المنحى ويبرز درجة النقاش الذي دار بين النحاة حول المصطلحين، وقد حاول صاحب الكتاب بإسهاب شرح الفرق بين الكلام والجملة واستهل كلامه بعنوان مسألة الكلام والجملة وأهـــم ما جاء فيه : « الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة .. هذا قول الجمهور، وذهب شرذمة من النحويين إلى أن الكلام يطلق على المفيد وغير المفيد .. »[5] وخاض ابن جني في هذه القضية المتعلقة بمفهوم الكلام، غير أنه - على ما يبدو في تعبيره - يجعل الكلام مساويا للجملة، وإنما يقـــرر الاختلاف بين الكلام والقـــول، وجاء ذلك في قوله : أما الفرق بين الكلام والقول ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة .. أما الكلام فكل لفـــظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجملة ... وأما القول فأصله أنه كل لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا فالتام هو المفيد أعني الجملة .. فكل كلام قول وليس كل قول كلاما .. إلى أن يقول ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقـــول إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال قول الله ...'[6] . وبهذا يكون ابن جني فصل بين " الكلام والقول " بحيث يشترط الإفادة في الأول ولا يشترط في الثاني إلا أن كما أسلفنا جعل الكلام مرادفا للجملة .

ويعود ابن هشام الأنصاري إلى " الكلام " بقوله : " الكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمع فيه أمران اللفـــظ والإفادة، والمراد باللفـــظ الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه '[7] وما يمكن الإشارة إليه في هذا التعريف غياب مصطلح الجملة ' وإنمـــا نجد ابن هشام يقـــــارن بين " الكلام " والكلم والقول، والكلم عنده أقرب إلى مفهوم الجملة عند غيره، غير أن الكلم يشترط فيه التركيب من ثلاث كلمات فأكثر حيث عدّ " قام زيد " كلاما لا كلم، ولكن الجملة تصح من كلمتين، ورغم ذلك يبدو التعريف أقرب إلى التعريف الذي أورده ابن جني

في الخصائص، ولعل هذا التعريف هو الذي سمح لميشال زكريا أن يحدد تعريفا للجملة عند النحاة القدامى بقـــول : " الجملة هي اللفـــظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليه "[1] .

إن ما يلاحظ في التعريف استعمال مصطلح الجملة " بدل " الكلام " وهذا هو الشائع في الاستعمال المعاصر رغم أن مصطلح " الكلام " أدنى إلى الدلالة على الشكل اللغوي المستغني المفيد وهو مرشح أكثر من الجملة للدلالة على معنى التركيب لأنه يصف الظاهرة وصفا أقرب إلى الحدس بينما مصطلح " الجملة " يفهم منه – حسب تعريفات القدامى – الدلالة على الشكل اللغوي القائم على الإسناد سواء استغنى واستقل بنفسه أو تعلق بغيره أو لم يستغن ، بالإضافة إلى ذلك أن الشرح اللغوي للمصطلح يعني الجانب التركيبي الكمي العام ويقـــتـــضي كل ما تركب من عنصرين أو أكثر جملـــــــة، إن الذي صرف النحـــــــاة على استعمال " الكلام " كونه مصدرا لا يمضي فيه الجمع [2] وهكذا ومع مرور الزمان شاع استعمال مصطلح " الجمل " للدلالة على المصطلحين .

تحديد الجملة في النحو العربي

وإن كانت ثنائية الكلام والجملة عرفت اختلافا بين النحاة القدامى، فتحديد الجملة يبدو أنه وقع حوله شبه إجماع حسب قول " محمد الشاوش " ويلخص هذه الحدود على النحو التالي :

أ . – عدم اجتماع العاملين على المعمول الواحد لأنه لا يعمل في اسم واحد رفع ونصب .

ب . – عدم عمل العامل عملين مختلفـــين في معمول واحد .

ويضاف إلى هذين الحدين استقلال كل جزء من أجزاء التركيب بموضع له، رتبة أصلية أو فرعية لكون رتب أجزاء المركب بعضه متعقـــب الآخر .. وعلى هذا النحو يكون الجزء من المركب ممثلا لبداية الجملة إذا لم يكن معمولا لما قبله ولا عاملا فيه ويكون ممثلا لنهايتها، إذا كان غير عامل فيما بعده وما بعده ليس عاملا فيه . وعلى هذا النحو أيضا يكون كل جزء من أجزاء الخطاب قائما إما على الإتباع والعمل عاملا أو معمولا أو على القـــطع والتعليق ".[3] ويتبين مما سبق أن عناية النحاة العرب القدامى بالكلام كبيرة في توضيح معالم التركيب الجملي ، وعموما الجملة في العربية نوعان اسمية وفعلية، الجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند إلى المسند إليه بلا دلالة على تجرد أو استمرار، وإذا كان خبرها اسما فقد يقصد به الاستمرار الثبوتي بمعونة القـــرائن وإذا كان خبرها مضارعا فقد يفيد استمرار تجددها إذا لم يوجد داع إلى الدوام فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام، فإن " زيد قائم " يفيد تجدد القيام، والجملة الفعلية وضعت لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل يشير إلى تجدد سابق أو حاضر، فنظام الجملة في العربية الفصحى يسلك أحد خطين :

* أحدهما سند إلي + سنا + متعلق ظرفي الجملة الاسمية = جملة اسمية .

* ثانيهما فعل مسند - فاعل أو ما ينوب عن مسند إليه + مفعول مباشر متعلقات الجملة الفعلية = جملة فعلية .

فرغم هذه الجهود المضنية التي بذلها النحاة القدامى، فلم تسلم النظرية النحوية العربية من انتقادات المعاصرين، وأهم الملاحظات التي وجهت لها هي قيام البحث في بناء الجملة عند القدامى على نظرية العامل، وقد أشار " محمود فهمي حجازي " إلى بعض هذه الملاحظات في كتابه مدخل إلى علم اللغة منه : " أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي، يكمن في أن الجهد العربي دار حول نظرية العامل بينما البحث الحديث هدفه في دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثـــم يُعَدُّ المعنى عنصرا مهما في دراســـــة الجملـــة [4] ولتوضيح طبيعة جدل النحاة في موضوع العامل أورد مثال المضارع المنصوب بعد كي، لكي، كي لا، لكي لا، كي ما، كان من الممكن الاكتفاء ب كي + فعل مضارع منصوب ، بينما النحاة

القدامى قاموا بعملية تحليلية معقدة لشرح ذلك، وذكر مثالا آخر يتمثل في جملة النداء حيث جعلوها جملة فعلية بتقدير الفعل " أنادي " في جملة يا كبير القضاة والفرق واضح بين الجملة الخبرية أنادي كبير القضا والجملة الإنشائية يا كبير القضا) غير أنه خفف من حدة الملاحظة بالإشارة إلى التكامل بين النحويين والبلاغيين كون البلاغيين ركزوا على المعنى في التركيب وهذا بتخصيص علم المعاني الذي له مكانة في دراسة الجملة العربية، وجهود البلاغيين مكمل طبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان [5] . وهكذا نجد أن مفهوم " الجمل " عالجه النحويو واللغويون والبلاغيون والنقاد كل حسب الزاوية التي أراد توضيحها منه — الجملة— فقد تناول البلاغيون بالتفصيل الذكر والحذف التقديم والتأخير في بناء الجملة، ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى الجهود التي بذلها عبد القاهر الجرجاني في هذا الموضوع، وتكاد تجمع الآراء أنه يُعدّ أول من أعطاه حقه في توضيح دور الجملة في فاعلية اللغة والنشاط الأدبي، وأوضح ما عبّر عنه في وموضوع الجمل " النظ ما جاء في قول : واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ، فلا تزيغ عنه ... وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظ نظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، وينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق ..." [6] وعلى هذا النص " تامر سلوم " إن هذه العبارات توهم إذا سيقت وحدها — أن المعاني التي يرومها عبد القاهر نحوية بحتة، وليس الأمر كذلك .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبد القاهر الجرجاني أدرك هذه الحقيقة وأنه تجاوزه ... وإذا ما قرأت في الدلائل غير مرة فإنك لن تجد عناء في التخلص من هذا الفهم المحدد الذي ينافي روح التعمق ... ولذلك لا بد من مراجعة شاملة لمدلول النظم واتجاهاته، ورحنا نبحث كل ما يعطي صورة كاملة لمدلول النظم، وجدنا عبد القاهر يحاول أن يثبت أن العمل الأدبي لا يكون إلا في « المعاني » [7] وبهذا يُفهم من خلال هذا التعليق أن عبد القاهر يركز في شرحه للنظم على المعنى، إن القصد من النظم عند أن تتلاقى الكلمات في النطق مترسمة خطى المعاني القائمة في النفس والتي يريد المرء أداءها إلى غيره لقصد يهدف إليه، ويقول : عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظه في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " [8] ويمكن أن نجمل القول حول مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ويكاد ينحصر في النقاط التالي :

- فكرة يراد أداؤه .
- ألفاظ تختار على قدود المعاني .
- ترتيب الألفاظ على ما تقتضيه صناعة النحو .
- جعل الترتيب ملائما لترتيب المعاني في النفس .
- اختيار الألفاظ على أساس ملاءمة الجرس للفكر .
- استنباط المعاني الثانية من واقع النظم .

ولعل أوضح ما عبر به عن أهمية إيصال الفكرة إلى المتلقي أنه لا يقوم أساسا على الترتيب النحوي إذ ليس هو الذي يجعل الكلام بليغا، حينما قال : ... أن للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتأليف ... هذا مما يوهم أن المزية أتتها من جانب العلم باللغة، وهو خطأ عظيم منكر يُفضي بقائله إلى رفع الإعجاز من حيث لا يعلم وذلك أن لا يثبت إعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر » [9] بالإضافة إلى ذلك يؤكد أن النظم في الكلام لن يكون متميزا إلا إذا كان مبنيا على الاختيار، فمن البداهة أن نقول : إن وجدنا كلاما أفضل من الآخر ذلك أن الاختيار مظهر طبيعي، لأنه يعتمد على قاعدة التفاوت . ومن المفيد أن نذكر في

هذا المقام قوله حول تغير الترتيب يقتضي تغيرا في المعنى وهذا ما جاء في قول : « واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحدا، أما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى »[10] وهذا القول يعد كقاعدة عامة حسب ما ذهب إليه عمر أوكان بقول :" إنه كلما تغير النظم إلا وتغيرت الدلالة، أي أن الفروق الدلالية هي فروق نظمية وحتى وإن كانت الألفاظ نفسها "[11] وهكذا نجد الجرجاني يجعل مدار الحديث في « دلائل الإعجاز » في موضوع " النظم " وأحاطه من جميع الجوانب، وقد تكون هذه الشواهد كافية لتوضيح أن المعنى المقصود من العبارة السابقة واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه النحو ليس المعنى الصريح، وإن كان الجزء منها — العبارة — يعني المعنى كذلك، وهي إشارة إلى اللغة المثالية النفعية التي تُعنى بالوظيفة الإخبارية فحسب، بينما النظم في اللغة الأدبية تسعى إلى جعل " النظم " هو الأسلوب الذي يكون التفاضل على أساسه، وتقترب هذه الرؤية من النظرية الأسلوبية اللسانية الحديثة ولعل ما جاء في بداية ا قال على لسان " فيلي ساندريس " ينطبق على مفهوم النظم لدى عبدا لقاهر الجرجاني وتتضح ألرؤية أن الدرس النحوي والدرس البلاغي يتكاملان في تحديد هوية الجملة هيئة ودلالة .

*** الجملة في الدراسات النحوية الغربية**

إن الاهتمام بالتركيب لم يكن شأن أمة دون الأخرى مادام بناء الجملة يعد الوسيل الأساسية لتحقيق التواصل بين الناس: فلا بد إذن أن يلقى هذا الموضوع العناية الكافية في الدراسات الغربية، يقول العالم الأمريكي إدوارد سابير : إن لكل لغة عبقرية خاصة لا يستطيع أي كاتب أن يعبر عنها كاملة وأبرز ما تظهر فيه هذه العبقرية تركيب الجمل . "[12] وسنحاول رصد بعض الدراسات الغربية حول بناء الجملة فيما يلي :

جاء تعريف الجملة في قاموس اللسانيات : " في النحو التقليدي تعد الجملة وحدة معنوية، وفي اللغة الشفوية سلسلة من الأصوات المنطوقة بين وقفتين، ومحددة كتابيا بنقط الوقف، وفي اللغة الفرنسية تحدد بالحرف الكبير (a majuscule) والنقطة، والجملة يمكن أن تتضمن عدة إمكانات : جملة مؤلفة ومركبة (phrase composé et complexe) ، وهذا التعريف يشكل عائقا لتعريف دقيق للجملة لأن الوحدة المعنوية يمكن التعبير عنها بجملة أو عدة جمل[13] .

ويستخلص من خلال هذا النص أن تعريف الجملة لم يتم الاتفاق عليه، تكتنفه ضبابية، كون الجملة يمكن أن تحوي جملا عدة وحتى الجملة المركبة فرّعت إلى نوعين، ولعل التعليق الذي قدمه محمد الشاوش " على التعريف الغربي للجملة يبين معضلة وجود تعريف دقيق للجملة بقول : " فقد عرّفت الجملة بكونها صيغة لغوية تقع بين نقطتين، صحيح أن هذا التحديد في الجملة المكتوبة إنما هو انعكاس لما يرافق الجملة المنطوقة من تنغيم وصحيح أن التنقيط ليس أمرا مجانيا اعتباطيا ولكن لا يمثل حلا للمسألة ."[14] وقد يعتقد البعض أن إشكال تحديد الجملة يجد حله في النحو الفرنسي، وذلك بالاعتماد على نظام الفصل بين الجمل باستعمال النقطة والفاصل والنقطة والفاصلة غير أن ذلك لم يكن حلا شافيا حسب ما ذهب إليه ' محمد الشاوش " في تعليقه على علامات الوقف في اللغة الفرنسية، وجاء في قول :" ومن خلال الجمع بين هذه الحالات تتبين أن علامات التنقيط لم توضع لتناسب المقاييس الشكلية التي يعتمد عيها تحليل النص إلى وحدات متافصلة، بل لاعتبارات عديدة لا يمثل ما اتصل منها بالبنية التركيبية إلا أقلها وليس بالأمر الغريب فالتنقيط ظاهرة بدأت وتطورت مع ظهور الطباعة في القرن السادس عشر ... واستقرت قواعدها على يد الكتاب والمؤلفين و لم تصبح من مشاغل اللغويين إلا في وقت لاحق "[15] . ولعل ما يمكن أن نختم به الحديث عن الجملة عند الغربيين، هو حيرة ' كلاوس برينكر ' بالخروج بتعريف شامل دقيق للجملة، حيث يقول : " تعد الجملة من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النص، وبذلك يطرح السؤال كيف نحدد الجملة ' ثم يردف ويقول : ويضع هذا السؤال اللغويين في وضع قلّ أن يحسدوا عليه، إذ

لم يوفق علم اللغة إلى الآن في أن يطور تعريفا للجملة مقبولة بوجه عا [6] ولعل هذه الحيرة تعد تأكيدا على عدم الاتفاق في النحو الغربي للخروج بتعريف يرضى به النحاة، وبالتالي يلقى الإجماع حول .

*** الجملة في اللسانيات الحديثة**

جاءت اللسانيات الحديثة بالمنهج الوصفي الذي يضاف إلى النحو التقليدي الذي يهتم بصحة التعبير وعثرات الكلام وطريقة قـــل ولا تقـــل وعلى الكاتب مجاراة الأساليب القديمة الفصيحة البليغ . أما النحو الوصفي فقد اقتصر على الوصف العلمي المحايد دون أن يتطرق إلى الصحة والخطأ، وبهذا كانت اللسانيات نهجا وصفيا يتجنب الموقف المعياري فقد تجاوزه إلى الاهتمام بالتركيب (yntaxe وصولا إلى الكليات التي تشترك فيها اللغات الإنسانية، ومن هنا ظهر مصطلـــح « التركيب » الذي يفـــــضلـــــه كثـــير من الدارسين على مصطلـــــح « النح » [7] .

والمنهج اللساني الحديث لا يتوقف في درسه لتراكيب الجمل، وإنما يتعدى ذلك إلى البحث عن المعاني التي تعبر عنها تلك التراكيب، وبهذا اتسعت المدارس اللسانية الحديثة إلى التعمق في تحليل بنية الجملة، ويمكن للدارس أن يتبين ثلاثة اتجاهات رئيسة يمثلها عدد من اللسانيين الذين اهتموا بدراسة التركيب، وهذه الاتجاهات هي :

الاتجاه الوظيفي

الاتجاه التوزيعي

الاتجاه التوليدي التحويلي[8] .

*** الاتجاه الوظيفي** يدرس كيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال، فمنظور الجملة الوظيفي عرّفه بولينغ (Bolinger بقول : " إنه دراسة لكيفية تقديم المعلومات في الجملة ودراسة المحتوى الدلالي النسبي للموضوع والخبر وأقسامهم " [9] . وطبقا لذلك ترتب مكوّنات الجمل : ' **الموضو** " يرد أولا ثم يليه الخب " ثانيا، أما إذا أردنا التوكيد على ' الخب " فنقـــوم بعملية التقديم والتأخير، والترتيب المفرداتي الذي يتطلبه منظور الجملة الوصفي يكون باستعمال أساليب تعبيرية نحوية مختلفة لصيغة المعلوم وصيغة المجهول في بعض اللغات، فإن ترتيب المفردات يكون له وظيفة نحوية للتمييز بين عناصر الجملة، ولعل المثال التالي يبين ذلك :

« الأستاذ ماثيزيوس كتب هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي » يختلف عن صيغة المجهول في الجملة نفسها « هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي كتب من قبل الأستاذ ماثيزيوس » وحسب المنظور الوظيفي فإن صيغة المعلوم " الأستاذ ماثيـــزيوس هـــــو ' **الموضو** ' هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي » هو ' الخب " بينما في صيغة المجهول فإن « هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي » هـ ' **الموضو** ' ، " والأستاذ ماثيزيوس " هو **الخب** " [9] ويتضح من هذا المثال أن المنهج الوظيفي يهتم بوظيفة العنصر اللغوي في التركيب، وتتحدد هذه الوظيفة بالترتيب الذي يتبوؤه في القول .

*** الاتجاه التوزيعي** : أوضح هاريس (Harris : أن في كل لغة مجموعة محدودة من الصيغ الصرفية وأن مفردات اللغة إما تنسب إلى هذه الصيغة، أو تلك فثمة فعل واسم وحرف ووصف وظرف الخ، ولا يمكن لأي من هذه الصيغ أن تحل مكان الأخرى، ويعني ذلك أن أي تغيير في عناصر في الخط الأفقي محور المجاور يستتبع تغيير في العناصر المؤلفة للخط العمودي محور ا ستبدال [10] .

ويمكن التمثيل على ذلك :

- الطفل يشرب اللبن .
- هي تشرب =
- هما يشربان =

– هم يشربو =

– هن يشربر =

ففي الأمثلة يلاحظ أن اللجوء إلى ضمير المؤنثة في الجملة الثانية تطلب تأنيث الفعل، وفي الجملة الثالثة أبدل فيها ضمير المؤنثة فحق أن تلحق بالفعل ألف التثنية وهكذ ..

ويتلخص منهج هاريس في أن المعالجة العلمية للغة عن طريق النصوص تنبني أولا وأخيرا على السياقات الخطية، والتوزيع في نظره هو مجموع السياقات التي تظهر فيها الوحدة، وهذا التوزيع هو الذي يميز الوحدات المختلفة عن بعضها، فما يميز الوحدة / ينهق / مثلا عن الوحدة / يزأر / هو أن توزيع الأولى سيكون على الشكل التالي : – ينهق الحمار أو الحمار ينهق . وتوزيع الثانية يكون على الشكل التالي :

– يزأر الأسد أو — الأسد يزأ .

وليس العكس أبدا إذ يتعذر التوزيع التالي :

* ينهق الأسد أو * الأسد ينهق

* يزأر الحمار أو * الحمار يزأر [1] .

وبناء على ما سبق ندرك أن هاريس يؤكد على تلازم المحورين المجاورة والاستبدال في بناء الجمل .

* **الاتجاه التوليدي التحويلي** : بناء الجملة في نظر " نوام تشومسكي " يقوم على مبدأ يعرف بنموذج القاعدة المحدودة، ولا سيما بعد التعديل الذي نشره في العام 1965 يفترض وفقا لهذا النموذج وجود ثمان قواعد أربع منها نحوية وأخرى معجمية، وهذه القواعد تعمل سوية على انتاج الجملة، فالمتكلم باختياره المكون الحرفي أو الاسمي أو الفعلي يبدأ الكلام، يستخرج في الوقت نفسه تصنيف هذه العناصر مع المعجم[2] .

وهذه القواعد تمثل النموذج لبناء الجملة عند تشومسكي، ويؤخذ عليه أنه لا يصلح للتطبيق على جمل زيد فيها مكون نحوي أو أكثر أو حذف مكون أو أكثر أو اعتراها شيء من تقديم أو تأخير ... وهذا المأخذ دفع بتشومسكي إلى إعادة النظر في قواعد بناء الجملة بتقديم نسخة أخرى أكثر قبولا، وهي التي أضاف إليها ما يعرف بقواعد التحويل التي يتم اللجوء إليها انطلاقا من القواعد الأساسية بالزيادة، أو الحذف أو التقديم والتأخير .

وهكذا عن طريق تطبيق قواعد التحويل، يمكن توليد عدد كبير من البنيات السطحية، تسمح للكاتب أن ينوّع في العبارة، وهذا ما لم تنتبه إليه المدرسة التوزيعية[3] ، وقد سمى بنية الجملة نتيجة القواعد الأساسية بنية عميقة وبنية الجملة عن طريق قواعد التحويل بنية سطحية .

أهمية علوم اللغ في الدرس الأسلوبي

ولا شك أن التطور الذي عرفته اللسانيات الحديثة والتنوع في اتجاهاتها، أفاد البحث الأسلوبي في تعامله مع النص الأدبي نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربط الأسلوبية باللسانيات خصوصا وعلوم اللغة عموم . وهذه العلاقة أكدها أغلب الدارسين، وسنحاول ذكر بعض هذه الأقوال التي تجمع على أن الدراسة الأسلوبية لا ينهض بها إلا من تزود بمعارف لسانية ولغوية، يقول عبد السلام المسدي في هذا المجال : "... تحتم ارتكاز العمل الأسلوبي على أرضية لساني ... على ألأسلوبي – ولا سيما الممارس المقاربة التطبيقية – أن يتخذ زادا من اللسانيات العام ... حتى يتسنى له الإجراء النقدي المتمحض للمنظور الأسلوبي " [4] . ويؤكد هذا الرأي صلاح فضل بقـــول : ويفيد علم الأسلوب من جميع التحولات المعرفية التي شهدتها الألسنية الحديثة " [5] .

ولعل ما ذهب إليه فيلي ساندير " يدعم هذه الأقوال، وأهم جاء في قوله : العلاقات الوثيقة التي بين الأسلوب والنحو موضوع بارز في الدرس اللساني .. ، وبخاصة حين يصل فيها الأمر إلى درجة يعتقد فيها أن الأسلوب لا يمكن أن يعرّف بوضوح ما لم يرجع الباحث إلى النحو "[16] .

بول فابر كريستان بايلون " يستبعد إمكانية الدراسة الأسلوبية بعيدا عن المعرفة التي تقدمها اللسانيات في جميع مراحل الدراسة سواء تعلق الأمر بوصف المادة الصوتية أو التصريف ومعرفة المفردات أو التركيب، فعلم الأسلوب يستضئ بمنهجيات النحو والألسنية والإحصاء والتاريخ الأدبي وعلم الشخصيات وعلم اللهجات والنقـــد والبلاغة غير أنه يدعو إلى تحرير البلاغة من جوانبها المعيارية . وينبه إلى أن أي دراسة التي تهمل الملاحظات الإيجابية التي تبديها بالخصوص اللسانيات ستتوجه إلى الانطباعية، ويشير إلى الجوانب التي تهتم بها الأسلوبية من المعارف التي تقترحها هذه المعارف اللساني .[17] .

رابح بحوش " يشيد : قدمه الاتجاه التوليدي للأسلوبية من أدوات التحليل، إذ يقول : " النحو التوليدي – إذن – يفتح إمكانيات كثيرة في مجال الأسلوبيات، من حيث الهدف هو تأسيس الأنماط تخد الجملة غير النحوية، الجملة التي ليست مجرد من الدلالات . ويقول أيض : استطاعت الأسلوبيات أن تقيم علاقات حيوية بين معارف شتى منه : اللسانيات والشعريات والبلاغة والنحو " [18] .

يوسف أبو العدوس " بعد ذكر فـــضل النحو التوليدي على الأسلوبية، كون فكرة الاختيار النحوي في الأسلوبية إنما هي منطلقة من فكرة النحو التوليدي، وأنها الأسلوبية وجدت ضالتها في النظرية النحو التوليدي وما أفرزته من مقوّمات ومصطلحات لغوية مثل البنية العميقة والبنية السطحية، فوظفت هذه المفاهيم في الدراسة الأسلوبية، يذهب إلى أبعد من وجود العلاقة بين الأسلوبية والعلوم واللغوية بحيث تصل هذه العلاقة إلى درجة التداخل بين هذه العلوم ولا سيما في مستويات التحليل فهو يرى أن من يمعن النظر في هذه المستويات سيفاجأ أن المستويات نفسها هي عند التحليل اللغوي وتتمثل في العموم في تحليل الأصوات وتحليل التراكيب وتحليل الألفاظ وهذه المستويات ذاتها، هي التي يتحدث فيها الأسلوبي،غير أنه في نهاية الأمر، يشير إلى إمكانية الفـــصل بين الأسلوبية واللسانيات، وذلك بجعل لكل من اللساني والأسلوبي حد وهدف لا يجاوزه، فاللساني يسعى إلى وصف اللغة وصفا دقيقا ثم الخروج بقـــواعد تفسر النشاط الإنساني، ولا يتعدى اهتمامه باللغة بشكل عام، بينما الدارس الأسلوبي فغايته مختلفة إنها تبدأ من حيث ينتهي اللساني والنص في الدراسة الأسلوبية مرآة تعمل على تحديد مدى نصاعتها وتصويرها للنفس البشرية ، ولذا يشترط في المحلل الأسلوبي ثقافة مزدوجة، لغوية أولا، لأن مادة الكلام هي اللغة، وأدبية ذوقية ثانيا، لآن جوهر الكلام هو الجمال .

والتفـــريق يظهر – إذن – في الغاية والهدف، فالذي ينظر إلى النص على أنه نص لغوي المراد منه معرفة أساليب الكاتب للخروج بقـــواعد علمية قابلة للتعميم فهو باحث لغوي والذي ينظر إلى النص على أنه نص لغوي والمراد منه معرفة أساليب الكاتب وتمايزه عن غيره من الكتاب وتحديد طريقته الخاصة فهو محلل أسلوبي [19] . وهكذا تجمع الآراء على توطيد العلاقة بين الدراسات اللسانية الحديثة والدراسات الأسلوبية خصوصا كون علاقتها بها علاقة منشأ ومنبت وكونها أيضا أحد فروع اللسانيات، وشتى أنواع المعارف عموما مثل البلاغة والنقد والنحو إلخ . ولذا بات لزاما على الدارس الأسلوبي أن يتزود بثقافة لسانية متجددة، وبناء على ذلك فإن كل من الدارس الأسلوبي واللساني مطالبان اليوم بتوثيق الصلة بينهما من أجل للوصول إلى تحليل الخطاب الأدبي .

مراجع الدراسة :

1. ينظر نور الدين السد،الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث ، الأسلوبية والأسلوب } الجزء الأول، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1997 ، ص 168
2. = فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، ط1 2003 دمشق سوريا ص 137.
3. = توفيق الزيدي، النقد العربي الحديث من خلال نماذج، الدار العربية للكتاب 1984 ص 73
4. = **محمد الشاوش** ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص) الجزء الأول، المؤسسة العربية للتوزيع، ط 1 2001 تونس، ص 267
5. = عبد الله بن يوسف ابن هشام المصري، تحقيق : مازن المبارك، دار ابن كثير، ط 1987 دمشق ص 50.
6. = المرجع السابق، ص 51. وقد وقع النزاع في عدد الجمل المعترضة، وحاصل ما ذكر أربعة أقوال : الأول عدد الجمل المعترضة سبعة، الثاني الجمل المعترضة أربع، الثالث : الجمل المعترضة ثمان، الرابع : الجمل المعترضة ثلاث
7. = ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط1 1985 بيروت ص 191.
8. = أبو البقاء العكبري، مسائل خلافية في النحو، تحقيق : محمد خير الحلواني، دار النشر الشرق العربي، ط1 بيروت 1992 ص 35،36.
9. = أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار، عالم الفكر، د ت بيروت ص 17 18
10. = ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار إحياء العلوم، ط1 1985 بيروت ص 9
11. = ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيط ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1983 بيروت ص 23
12. = محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص " الجزء الأول، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001. تونس ص 242 243 267
13. = محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربي . تأسيس « نحو النص » المرجع السابق . ص 255 ويذكر في الصفحة 297 قول ينسب إلى الزمخشري ونصه " الأصل أن تكون الجمل على ضربين اسمية وفعلية)
14. = محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط2 1978 القاهر ص 68
15. = المرجع نفسه ص 69
16. = عبد القدر الجرجاني، دلائل الإعجازدلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه : محمد التنجي، دار الكتاب العربي،ط . لبنان 425 هـ /2005 ص 69،70
17. = تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1983. سوريا ص 113 114
18. = عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 51
19. = المرجع نفسه، ص 168 169.
20. = المرجع نفسه، ص 180
21. = عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب 2001 ط 88
22. = شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنسر والتوزيع، ط3 1996 القاهر ط 46 47
23. = Dictionnaire De Linguistique, Jean Dubois-Mathée Giacomo.Louis guespin. Christiane Marcellesi.Jean-Baptiste.Jean Pierre Mével, Larousse. 2002.page 365
24. = محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربي . تأسيس « نحو النص » ، المرجع السابق ص 227

25 = محمد الشاوش، المرجع السابق، ص 228 (تحديد الجملة في اللغة الفرنسية : تستعمل النقطة لبيان الحد الفاصل بين جزأين ... أو الفصل بين جمل صغرى، والفاصل المتوسط له عدة استعمالات منه : للفصل بين جمل صغرى من نفس النوع ليس بينها أدوات عطف، قبل جمل صغرى مبدوءة بأدوات عطف غير ni, ou ، قبل جمل صغرى ظرفية قيمتها مجرد التفسير، قبل الجمل الصغرى الظرفية الواقعة في صدر الجمل . لفصل الجملة الصغرى الاعتراضية ..)

26 = كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه ومهد له وعلق عليه سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار 2005، مصر ص 32

27 = أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، د ط 999 دمشق ص 216

28 = المرجع نفسه ص 240

29 = أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتور، ـ وان المطبوعات الجامعية، الجزائ . 2002 ص 140 وفيما ترتيب مكونات الجملة فإن " **الموضو** " يرد أولا ثم يليه **الخب** " ثانيا، أما إذا أردنا التوكيد على ' الخب " فنقوم بعملية التقديم والتأخير، وبالنسبة للغات التي يكون لترتيب المفردات فيها وظيفة نحوية للتمييز بين الفاعل والمفعول به، فإن الترتيب المفرداتي الذي يتطلبه منظور الجملة الوصفي يكون باستعمال أساليب تعبيرية نحوية مختلفة لصيغة المعلوم وصيغة المجهول في الفرنسية والإنجليزية، وعليه فإن صيغة المعلوم في الجملة الآتية مثلا مع المحافظة على نمط التركيب الإنجليزي : " الأستاذ ماثيزيوس كتب هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي ' يختلف عن صيغة المجهول في الجملة نفسها " هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي كُتِب من قبل الأستاذ ماثيزيوس " وحسب المنظور الوظيفي فإن صيغة المعلوم ' الأستاذ ماثيـــــــــــــــزيوس هـــ ' **الموضو** ' ا " هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي " هو ' الخب " بينما في صيغة المجهول فإن " هذا الكتاب حول منظور الجملة الوظيفي ' ه " **الموضوع** ' ا " والأستاذ ماثيزيوس ' ه **الخب**

30 = إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، د ط 2007 عمان الأردن ص 38 39 .

31 = سليم باب عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، علم التركيب ، دار أنوار 1990 الجزائ ص 37

32 = إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، المرجع السابق،ص 93 وقد وضح إبراهيم خليل هذه القواعد الثمانية في المرجع السابق في ص 94 وهي كما يلي :

* مركب اسمي NP + مركب فعلي VN
* مركب اسمي np + مركب فعلي vn + مركب اسمي np
* حرف art + اسم N + فعل V + مركب اسمي np
* حرف art + اسم N + فعل V + حرف art + اسم N
* ال he + اسم N + ف V + ال he + اسم N
* ال he + رجل man + ف V + ال he + كرة Ball
* ال he + رجل man - سوف will + ف V + ال he - كرة Ball
* ال he + رجل man + سوف will + يضرب hit + ال he + كرة Ball + مركب اسمي NP + مركب فعلي VN

33 = سليم باب عمر وباني عميري،المرجع السابق، ص 63

34 = عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر سلسلة مفاتيح 994 تونس ص 61

35 = صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق 2002 الدار البيضاء المغرب ص 93

36 = فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لساني . المرجع السابق ص 109

37 = بول فاير كريستان بايلون، مدخل إلى الألسنية، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي، د ط 992 المغرب ص 232 233 234 .

38 = رابح بحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار عنا 2005 الجزا ص (46

39 = يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة 2007 الأردن ص 46 47 48 49 50 .